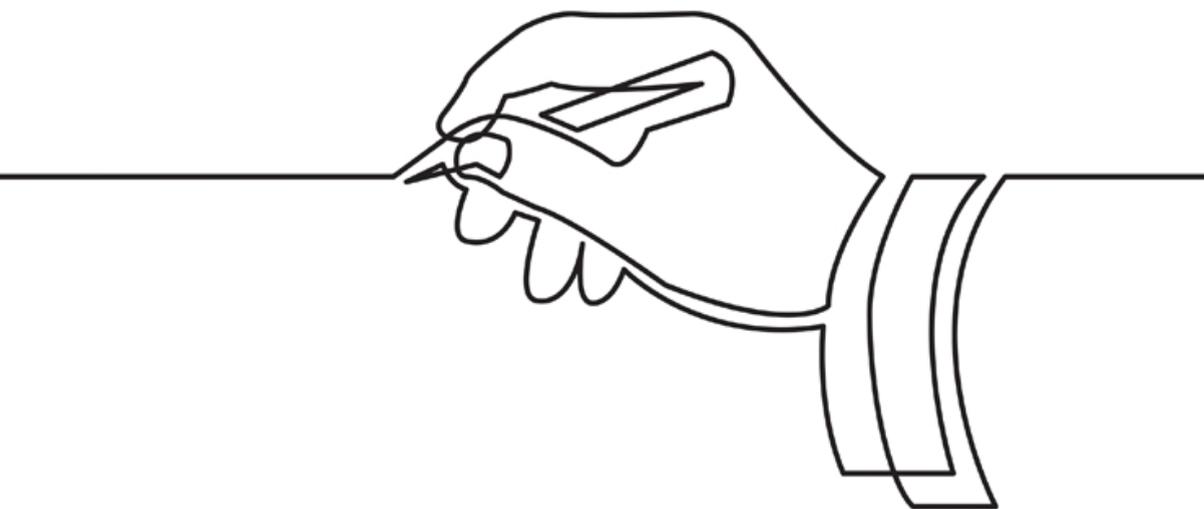


من صعيد الألهة



إلياس أبو شبكة

من صعيد الالهة

تأليف
إلياس أبو شبكة

المحتويات

٧	من صعيد الألهة
٩	أسطورة
١٥	اليتيم
١٩	شوقي وحافظ
٢٣	الحر
٢٧	فليكس فارس
٢٩	بشر بن عوانة
٣٣	الحجر الحي
٣٥	شاعر الليالي
٣٧	عودة جبران
٣٩	رشيد نخلة
٤١	الثورة العظمى
٤٣	عودة الطيار

من صعيد الالهة

أَعَشَقُ الصُّدُقَ لَا أَقُولُ سِوَى الْحَا
فِي فُؤَادِي الْقَوِيَّ رُوحَ إِلَهٍ
فَالسَّمَاءُ الَّتِي أَنْارَتْ شَبَابِي
قٌ وَلَوْ جَارَ فِي الْحَيَاةِ عَلَيَّا
وَلَوْ أَنِّي وُلِدْتُ مِنْ أَبَوِيَا
وَضَعْتُ مُهْجَتِي عَلَى شَفَتَيَا

أسطورة

إلى صديقي شفيق معلوف

كَانَ مَا كَانَ
فِي رَبِّي لُبْنَانُ

شَاجِبٌ كَالطَّيْفِ
أَهْيَفُ أَسْمَرُ
ضَامِرٌ كَالسَّيْفِ
أَوْ أَضْمَرُ
خَدَرُ الرُّؤْيَا عَلَى عَيْنَيْهِ
وَأَرْتَعَاشُ الْحُبِّ فِي فَمِهِ
عَرَقُ الْوَحْيِ عَلَى صُدْعَيْهِ
فَإِضْ مِنْ نَمِيهِ
قَلْبُهُ، مَا أَبْعَدَ الْأَثَامِ
عَنْ هَوَاهُ عَنْ لِيَالِيهِ
وَالْهَوَىٰ إِنْ رَاحَ يُخْفِيهِ
حَدَّثْتُ عَنْ سِرِّهِ «الْأَحْلَامُ»
وَأَغْزِيهِ

من صعيد الآلهة

وَالْحَوَزُ سَهْرَانُ
مُوهَنْ الْخَضِرُ
وَالْقَمَرُ سَكْرَانُ
فِي النَّهْرِ
وَالرُّبَى أَلْوَانُ
كَانَ مَا كَانَ

بَكَرَ الْعُصْفُورُ
دُونَ مِيْعَادِ
وَأَسْتَفَاقَ النُّورُ
فِي الْوَادِي
وَالصَّبَا لَمَّا تَزَلْ سَكْرَى
تَخِيْطُ الدَّوْحَ وَتَمْرُدُهُ
وَيَرْفِقُ تَعْطِفُ النَّهْرَا
لَا تُجْعِدُهُ
وَالنَّدَى يَصْحُو عَلَى الْعُنُقُودِ
فَكَحْلِمِ الطِّفْلِ مَبْسُمُهُ
وَشَفَاهُ الشَّمْسِ تَطْعَمُهُ
وَتَرْوِي كَنْزَهُ الْمَرْصُودِ
جِيْنَ تَلْتِمُهُ
وَالدُّمَى الْأَجْفَانُ
وَالشَّذَا الْعَابِرُ
كُلُّهَا أَلْوَانُ
لِلشَّاعِرِ
كُلُّهَا أَلْحَانُ
كَانَ مَا كَانَ

هَذِهِ الْأَلْوَاخُ
 فِي رَبِّي زَحْلَهُ
 كَالهَوَى وَالرَّاحِ
 وَالْقُبُورِ
 جِنَّةُ الْأَطْلَالِ تَرَسُمُهَا
 وَعَرُوسُ النُّورِ تُحْيِيهَا
 عِبْقَرٌ، حَتَّى جَهَنَّمُهَا
 عَرَّشَتْ خَضْرَا بِوَادِيهَا
 دَرَجَتْ فِيهَا مُخَيَّلَتُهُ
 شَاعِرُ الْأَحْلَامِ وَالْحُبِّ
 وَارْتَوَتْ مِنْ نَهْرِهَا الْعَذْبُ
 تَأْخُذُ الْأَصْبَاغَ أَخْيَلَتُهُ
 مِنْ دَمِ الْقَلْبِ
 حُبُّهُ النَّشْوَانُ
 مِنْ جَنَى السُّخْرِ
 غَائِمٌ سَهْرَانُ
 لِأَفْجَرِ
 ذَاهِلٌ حَيْرَانُ
 كَانَ مَا كَانَ

عَرَّبَ الشَّخْرُورُ
 وَالنَّوَى جُرْحُ
 فَالْمَسَا مَهْجُورُ
 وَالصُّبْحُ
 قَالَتِ الْأَغْصَانُ لِلنَّهْرِ
 ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيْنَ شَادِينَا؟
 مَا دَهَى حُلُقُومَهُ السُّخْرِي

لَا يُعَنِّيْنَا؟
وَالسَّوَاقِي قُلْنَ لِلرَّهْمَرِ:
«أَيَّنْ مَنْ كَانَ يُنَاجِينَا
يَمَلَأُ الْوَادِي تَلَاجِينَا؟
مَا دَهَاهُ؟ فِيمَ لَا يَجْرِي
ظِلُّهُ فِينَا؟»
وَالهَوَى الظَّمَّانُ
قَالَ لِلْبَبَانِ:
«لَا أَرَى مَنْ كَانَ
يَزْعَانِي!»
فَأَجَابَ الْبَبَانُ:
«كَانَ مَا كَانَ»

* * *

عَشْتِ يَا أَغْصَانُ
عَشْتِ يَا نَهْرُ
الْهَوَى رِيَّانُ
وَالشُّعْرُ
فَالدُّمَى فِي الْكَرْمِ نَاهِدَةٌ
وَعَلَيْهَا الطَّلُّ فِي حَرَمِ
كَرِضَاعِ الْحَبِّ جَامِدَةٌ
نُقْطُ مِنْهُ عَلَى الْحَلَمِ
وَرَشَاشُ الْعِطْرِ وَالْأَنْعَامِ
وَحَرِيرُ الْجَدْوَلِ الْكَوْثَرُ
وَالْحَلِيبُ الْخَمْرُ وَالْعَنْبَرُ
حُمِلَتْ مِنْ شَاطِئِ «الْأَحْلَامِ»
لِذُرَى «عَبْقَرُ»
فَالْمَسَا الْمَلَانُ

مِنْ دَمِ الْكَرْمِ
لَمْ يَزَلْ يَهْمِي
مِثْلَمَا كَانَ

بِبَنَانِ النُّورِ
لَمْ يَزَلْ هَارُوتُ
يَفْرِشُ الْيَاقُوتَ
فِي الْمَدَى الْمَسْحُورِ
وَعَلَى هَوْدِجِهِ الْهَادِي
يَنْفُتُ اللَّيْلُ مَصَابِيحَهُ
وَسَرِيرُ الْحُبِّ فِي الْوَادِي
لَمْ يَزَلْ لِلطَّيْرِ أَرْجُوحَهُ
كُلُّ مَا مَرَّ بِنَا يَبْقَى
ثَابِتَ اللَّوْنِ كَمَا كَانَا
إِنَّمَا الْأَرْوَاحُ أَحْيَانَا
حَسَبَمَا تَسْفُلُ أَوْ تَرْقَى
تُكْسِبُ الْأَشْيَاءَ أَلْوَانَا
وَالْهَوَى إِيْمَانُ
لَمْ يَزَلْ نَاضِرُ
فِي دَمِ الشَّاعِرِ
مِثْلَمَا كَانَ

فِي رَبِّي الْأَسْرَارُ
حَيْثُ لَا شَهْوَةٌ
قَالَتِ الْأَزْهَارُ
لِلرَّبِّ-وَهُ:
«انظري عيني، يا أمي

فَالْهَوَى بَاقٍ بِعَيْنَيْهِ
جَفْنُهُ، كَمْ ذَابَ فِي حُلْمِي
كُحْلُ جَفْنَيْهِ
مَا أَحْيَلَى هَذِهِ الْخَلْوَةَ!
... هَلْ سَمِعْتَ الْحُبَّ، يَا أُخْتِ؟
عَادَ مُشْتَقًّا كَمَا عُدْتِ
فَأَجَابَتْ أُمُّهَا الرَّبُّوَّةُ:
«عَادَ يَا بِنْتِ
قَلْبُهُ الْوَلَهَانُ
هَكَذَا كَانَا
عَادَ وَلَهَانَا
مِثْلَمَا كَانَا!»

اليتيم

وَعَلَيْكَ مِنْ سُوْرِ الْهَوَى مُتَرَدِّمٌ
شَبَّ النَّهَارُ نَمًا وَأَيْنَعَ مَوْسِمٌ
فِي كُلِّ شِبْرٍ مِنْ تُرَابِكَ مُلْهُمٌ
فِي كُلِّ عَيْنٍ لَا تَرَكَ تَيْتَمٌ
وَعَلَى الْجَمَالِ مُؤَخَّرٌ وَمُقَدَّمٌ
جَيْشٌ مِنَ الْخَضِرِ الْجَنِيِّ عَرْمَرَمٌ
فِي مِثْلَهَا نُورٌ وَلَمْ يَطْهَرْ دَمٌ
فِي الصَّيْفِ تَرْتَزِقُ الْجِنَانُ وَتَوْلِمُ
أَجْرَى الْفُتُوَّةِ فِيكَ حَتَّى الْمَاءِ تَمُ
فَأَبُّ يَفِيضُ نَدَى وَأُمَّ تَرَامُ
الْيَتَمُ أَنْ تُزْرِيكَ عَيْنٌ أَوْ فَمٌ
هُوَ مَنْ يَسُوقُ الظُّلْمَ لَا مَنْ يُظْلَمُ
جَوْرًا وَمَنْ حُبِرَ الْيَتَامَى يُطْعَمُ
وَالْعَنْكَبُوتُ إِذَا تَتَعَلَّبُ يُكْرَمُ
وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ «الْأَرْقَمُ
رَأْسٌ لَهُ يَحْنَى وَقَلْبٌ يَشْتَمُ
كَالْهَرِّ يُؤْمَنُ شَرُّهُ إِذْ يُلْقَمُ
وَعَلَى سَرِيرَتِهِ يَجْفُ الْحَضْرَمُ

حَرَمُ الْجَمَالِ عَلَى سَرِيرِكَ يَحْلُمُ
وَالشَّمْسُ تَبْرُ فِي أَدِيمِكَ كُلَّمَا
لُبْنَانُ يَا رَيْفَ السَّمَاءِ وَتَغْرَهَا
مَا أَنْتَ بِالْبَلَدِ الْيَتِيمِ وَإِنَّمَا
لَكَ فِي الْفُصُولِ عَلَى الطَّبِيعَةِ ذَمَّةٌ
فَمِنَ الشُّتَاءِ أَبُّ يَدْبُ بِصُلْبِهِ
وَمِنَ الرَّبِيعِ أَجِنَّةٌ لَمْ يَخْتَمِرْ
وَلَكَ الشُّبَابُ كَرِيمَةٌ أَغْصَانُهُ
وَإِذَا الْخَرِيفُ تَكَمَّشَتْ أَعْرَاقُهُ
لَكَ مِنْ شَبَابِكَ أُسْرَةٌ مَيْمُونَةٌ
مَا الْيَتَمُ أَنْ تُشْقِيكَ أُمَّ أَوْ أَبُّ
إِنَّ الْيَتِيمَ مِنْ أَمْحَى وَجَدَانُهُ
هُوَ حَاكِمٌ يَشْفَى الْيَتِيمَ بَعْهَدِهِ
الْحَزُّ يُنْكَرُ إِنْ أَتَى بِنَصِيحَةٍ
«يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
كُلُّ أَمْرِي شَطْرَانَ فِي سُلْطَانِهِ
فِي كُلِّ مَادْبَةٍ يَسِيلُ لِعَابُهُ
عَسَلُ الزَّبِيبِ يَسِيلُ مِنْ أَحْدَاقِهِ

وَيَرَى الشَّفَاهَ كَأَنَّهَا تَتَهَكَّمُ
وَمِنَ السُّقُوفِ مَسَامِعُ تَتَفَهَّمُ
أَوَلَسْتَ تَدْرِي كَيْفَ أَنْتَ وَتَعْلَمُ؟!
يُضْغِي إِلَيَّ أَسْرَارَهَا فَيَتْرَجِمُ
وَجِدَانِهِ الْهَارِي تَفْحُحُ جَهَنَّمُ
وَاللَّهُ نَهَبٌ فِي جَمَاهُ مُقَسَّمُ
خَطَأُ الشَّرَائِعِ أَنْ يُعَابَ فِتْرَجِمُ
مَاذَا يُعَلِّمُكَ الْيَتِيمُ الْأَعْظَمُ؟
فِي كُلِّ إِسْطَبِلٍ يُحَمِّمُ مَرْجَمُ
فَإِذَا أَحَسَّ فَعِرْقُهُ الْمَتَأْتَمُ
وَقَمٌ يَنْبُ وَمُقْلَةٌ تَنْضَرُمُ
إِلَّا تَسْلَفُ حَاجَةٌ تَتَكَلَّمُ
يَبْقَى الْأَذَى فِيهَا وَيَفْنَى الْمَرْهَمُ
فِيهِ رُقِيٌّ لِلْهَوَى وَتَقْدُمُ
وَالْعَاشِقُ الْعُذْرِيُّ أَبْلَهُ مُسَقَمُ
تَصْفُو لَنَا لَيْلَى وَتَعْدُرُ مَرِيمُ
إِلَّا يَقُولُوا إِنَّهُ بِكَ مُغْرَمُ!^١

* * *

وَجِدَانُهُ، يُعْطِيهِ لَا يَتَلَعَّمُ
فَالنَّاسُ نَقْدٌ وَالْمَصَائِبُ أَسْهَمُ
فِي قَلْبِهِ إِنْ كَانَ فِيهَا مَعْنَمُ
مِقْدَارَ مَا يَدْتِي الضَّمِيرُ الْمُجْرَمُ
بِيَدِ الْمُبْدِرِ أَوْ كَأَنَّكَ بِرْهَمُ

يَخْشَى لِضَعْفِ يَقِينِهِ هَمْسَ الصَّدَى
وَلَهُ مِنَ الْأَبْوَابِ أَنْظَارُ تَرَى
يَا حَاكِمًا فِي أَيِّ يَوْمٍ تَسْتَحِي
هُوَ مُرْشِدُ خُبْرِ السَّمَاءِ طَعَامُهُ
سُورُ النَّقَى تُتَلَّى عَلَى فَمِهِ وَفِي
الدِّينِ حَانُوتُ يَبِيعُ بِهِ الرَّجَا
وَلَهُ كَلَامٌ فِي السِّيَاسَةِ فَاصِلُ
أَبَا الْيَتَامَى، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ،
لَكَ فِي الْجَحِيمِ مَتَى تَهَمُّ إِلَى السَّمَاءِ
هُوَ عَاشِقٌ لَمْ يَدْرِ مَا شِيمُ الْهَوَى
رُوحٌ مُهْرَاةٌ وَلَحْمٌ جَائِعُ
مَا بَيْنَ عَذْرَتِهِ وَبَيْنَ يَمِينِهِ
فَحَذَارُ مِنْ جُرْحِ الْهَوَى فَجِرَاحُهُ
تَاللَّهِ عَصْرُكَ يَا جَمِيلُ، فَعَصْرْنَا
الْفَاجِرُ الزُّنْدِيقُ فَحَلُّ رَاشِدُ
يَا بُنْتُ كَمْ يَحْلُو زَمَانُكَ حِينَمَا
مَاذَا عَسَى الْوَأَشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا

^١ يقول جميل بثينة:

وَمَاذَا عَسَى الْوَأَشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لِكَ عَاشِقُ؟!

اليتيم

هُوَ شَاعِرٌ إِنْ لَمْ يَذُقْ أَلْمَ الْهَوَى
مَا الشُّعْرُ إِلَّا حَلِيَّةٌ بَرَّاقَةٌ
صُورَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً أَلْوَانُهَا
هُوَ شَاعِرٌ تَلَدُ الشُّمُوسُ صَرِيحَةً
إِنَّ الْيَتَامَى مَنْ يَمُجُّهُمْ الْوَرَى
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَحْرَفُ تَتَائِمُ
حَزَفُ يَغْرُكَ أَوْ زَجَاجُ يُوْهِمُ
وَأَحَبُّهَا مَا قَدَّ حَوَاهُ الْمُعْجَمُ
مَنْ حَوْلَهُ أَسْرَ الْجَمَالِ وَيُبِيهِمُ
لَيْسَ الْيَتَامَى مَنْ يَضُمُّ الْمَيْتَمُ

شوقي وحافظ

لَا لِقَوْمٍ وَلَا لِدِينٍ
أَهْلَكَ الْوَحْيُ وَالْهُدَى
سَرَّتْ فِي الْأَرْضِ رَافِعًا
فَكَأَنِّي بِكَ السَّمَاءَ
أَنْتَ لِلْجِيلِ، إِنَّمَا
لِلطُّغَاةِ الْمُهْدِمِينَ
لِلْمُلُوكِ الْمُخْلَعِينَ
لِلصَّعَالِيكِ، لِلَّذِينَ
لِلزُّنَاةِ الْمُسَيِّطِرِينَ
أَنْتَ لِلشُّوكِ، لِلوُرُودِ
لِلْبُذَيِّينِ، لِلْيَهُودِ
لَا لِقَوْمٍ وَلَا لِدِينٍ
مُضْحَفٌ قَصَّتِ السُّورَ
كُلَّمَا أَسْمَعَ الْعُلَى
حَرَمَ الْوَحْيِ لَوْنَ الْـ
فَعَلَى كُلِّ صُورَةٍ
صُورٌ غَمَّنَ بِالرُّؤَى
فَكَأَنِّي بِهِنَّ أَحـ

أَنْتَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
بَيْنَكَ الْحَقُّ وَالْيَقِينُ
مَشَعَلَ الْخُلْدِ فِي الْجَبِينُ
أُودِعْتَ فِي لَطْفِي وَطِينُ
لِلذَّرَارِيِّ بَعْدَ حِينُ
لِلبُنَاةِ الْمُشِيدِينَ
لِلْعَبِيدِ الْمُتَوَجِّحِينَ
حَدَّرُوا الْأَسَدَ فِي الْعَرِينُ
لِلأُبَاةِ الْمُسْتَعْبِدِينَ
لِلنَّبِيِّينَ فِي الْقِيُودِ
لِلنَّصَارَى، لِلْمُسْلِمِينَ
أَنْتَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
فِيهِ أُسْطُورَةُ الْبَشَرِ
آيَةٌ شَرَّفَ الْمَدَرَ
حُبُّ فِي عَذْبِهِ الصُّورُ
مُرْضِعُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرُ
وَتَجَلَّيْنِ بِالْفِكْرِ
بِرُّنَّ مِنْ عَبْقَرٍ أَثَرُ

يَا فَخُورًا بِزُفْرَةِ الشُّعْرِ وَالْحُبِّ فِي الْوَتْرِ
 هَازِيءَ الْقَلْبِ بِالطُّرُرِ نَسَكَ الْفَنُّ حِينَ قَبِ
 أَيُّهَا الْحَارِسُ الْأَمِينُ يَا أَمِيرَ الْمُشْرِدِينَ
 مَا الصَّبَى فِي تَرْنَمِهِ وَصَبَاحَ الرَّبِيعِ يَفُ
 وَالْمَسَاءَ الْوَلَهَانَ يُصْغِي وَالْأَقْاحُ الْبَرِيءُ يَنْ
 مِثْلَ سِحْرِ تَذْيِبُهُ مَا الْهَوَى فِي تَأْلُمِهِ
 وَالسَّمَا فِي انْتِقَامِهَا وَصُرَاخُ الْبَرِيءِ فِي
 وَالْمَعْرِي عَلَى الْوَرَى مِثْلَ شَوْقِي تُثِيرُهُ
 مَا عَلَى النُّورِ وَاللَّهَبِ إِنَّ أَنتَ شَاعِرَ الْعَرَبِ
 غُرِّ وَالْحُبِّ فِي الْوَتْرِ ضَارِبًا بِالْذُّمَى الْأَخْرُ
 لَتَهُ فِيكَ وَأَنْحَصَرَ هَيْكَلِ الْمَنْطِقِ الْمُبِينُ
 إِخْوَةَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي هَوَاهُ وَفِي دَمِهِ
 سَرُّ عَنْ عَاجِ مَبْسِمِهِ لِهَمَسَاتِ أَنْجُمِهِ
 فُتُّ أَحْلَامِ بُرْعَمِهِ رُوحِ شَوْقِي بِمَرْقَمِهِ
 وَالذُّجَى فِي تَجْهَمِهِ وَاللَّظَى فِي تَضْرَمِهِ
 نَزْوَةٍ مِنْ تَظْلَمِهِ ثَائِرًا فِي تَهَكُّمِهِ
 غَضَبَةٌ مِنْ جَهَنَّمِ وَعَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَضْبِ
 نَائِحَاتٍ بِمَاتَمِهِ

* * *

بُلْبُلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَا مَالِي الْأَرْضِ حِكْمَةً
 يَا أَخَا الْمُعْدِمِينَ مَا إِنَّمَا الْبُؤْسُ دُقْتَهُ
 فِي نَفُوسٍ تَظَلَّمَتْ عِشْتَ كَالنُّورِ مُلْهَمًا
 نَمَنَّ الْغَارِ مَا دَفَعُ إِلَيْهِ شَوْقِي فَحَافِظُ
 كَانَ يَسْتَلْهُمُ الْبُؤُ نَاشِرَ النُّورِ فِيهِمَا
 وَسَمَا الْحُبِّ أَنْجُمًا كُنْتُ فِي النَّاسِ مُعْدَمًا
 فِي فُؤَادٍ تَأَلَّمَا وَشُعُورٍ تَظَلَّمَا
 وَكِعْبَاسٍ مُتَخَمًا سَتَ دُمُوعًا وَلَا دَمًا
 كَانَ أَشْقَى ... وَأَعْظَمًا سَ وَتَسْتَلْهُمُ الذُّمَى

كُنْتَ تُغْفِي مُتَيْمًا حِينَ يُغْفِي مُتَيْمًا
عَرْشُكَ الشَّعْرُ وَالذَّهَبُ عَرْشُهُ الشَّعْرُ وَالْخَشَبُ
أَه! فِي دَوْلَةِ الْأَدَبِ أَيُّ مَلَكَيْنِ كُنْتُمَا؟!

* * *

عَشْتِ فِي النَّفْيِ مِثْلَمَا عَاشَ فِي الْخَمْرَةِ الْحَبِيبُ
بَيْنَ أَسْمَى مِنَ الْجَلَا لِ وَأَشْهَى مِنَ الطَّرْبُ
عَشْتِ فِيهِ كَبْلُبَلٍ مَرَّ فِي الْعِيدِ وَاحْتَجَبُ
حَامِلًا مِنْ جَنَاحِهِ رَعْشَةَ الْحَظِّ فِي الرِّعْبُ
لَسْتُ أَنْسَاكَ طَائِفًا فِي الْيَوَاقِيَتِ وَالذَّهَبُ
فِي قُصُورِ الْحَمْرَاءِ تَسُ تَنْتَطِقُ الْمَجْدِ فِي الْخَرْبُ
تَسْأَلُ الْفَنَّ، رَافِعَ الرَّ أُسْ، عَنِ أُسْرَةِ الْعَرَبُ
فَأَرَى مِنْ أُمِّيَّةٍ فِيكَ ظِلًّا مِنَ النَّسَبُ

* * *

ثَمَنَ الْغَارِ مَا دَفَعُ سَتَ دُمُوعًا وَلَا تَعَبُ
إِيهِ شَوْقِي فَحَافِظُ كَانَ فِي بُؤْسِهِ أَحَبُّ
كَانَ يُغْفِي مُتَيْمًا حِينَ تُغْفِي مُتَيْمًا
أَيُّ مَلَكَيْنِ كُنْتُمَا أَمْسِ فِي دَوْلَةِ الْأَدَبِ؟!

الحر

حَبَّأْتُ فِي عَطْرِهِ حُبِّي وَإِيمَانِي
وَيَرْتَمِي مَرِحَ الدُّنْيَا بِأَلْحَانِي
تَفَكَّكْتُ عَنْ كَلَابِيبِ وَأَرْسَانِ

لَبَيْكَ يَا قَلْبَ، مَاضٍ فِيكَ نَادَانِي
أَيَّامَ كَانَ الْهُوَى الْغَرِيدُ يَضْحَكُ بِي
وَكَانَ لِلنَّاسِ أَمَالٌ مُحَبَّرَةٌ

* * *

هَانَ الْقَوِيُّ لَهُ، وَاسْتَأْسَدَ الْوَانِي
بَلَا النَّقِيزِينَ مِنْ جَهْلٍ وَعَرْفَانِ
وَكَانَ لِلْجَهْلِ كَالْعَرْفَانِ عَرْفَانِ
بَاقٌ لَهُ أَمَلٌ، فِي قَلْبِ حَيْرَانِ
كَأَنَّهَا قَلَقٌ فِي حُلْمِ ظَمَّانِ!
عَلَى لَطَى الرَّمْلِ، مِنْ وَادِ لَوْدِيَانِ
كَأَنَّهَا هُزْءُ شَيْطَانِ بِإِنْسَانِ
يَمُجُّ فِيهَا سَحَابَ الظِّلِّ كَهْفَانِ
فَصَادَفَتْ شَفْتَاهُ حَلَقَ ثُعْبَانِ
أَلَمَ فِي خُلُقِهِ أَمْجَادَ غَسَّانِ
بَاقٌ عَلَى يَدِهِ إِيْمَاءُ إِدْمَانِ
كَأَنَّ لُبْنَانَ لَمْ يَبْرَحْ كَلْبُنَانِ
فِي كُلِّ زَابِيَةٍ بَعْنًا لِإِيْوَانِ
لِهَدْيِ حَيْرَانِ، أَوْ تَنْبِيهِ وَسْنَانِ

فَقَدْ دَهَى الْحُكْمَ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
كَانَتْ لَهُ الْقُرْعَةُ الْحَمَقَاءُ فِي بَلَدِ
فَكَانَ كَالْجَهْلِ لِلْعَرْفَانِ عَجْرَفَةً،
عَذِيرُهُ وَمُضَّةٌ فِي لَيْلِ مُدَلِّجِ،
كَسَائِحِ ضَلَّ فِي صَحْرَاءَ مُحْرِقَةٍ
يَمْشِي، وَلِلنَّارِ فِي أَجْفَانِهِ زَبْدُ
وَلِلسَّرَابِ خِيَانَاتٌ عَلَى فَمِهِ
حَتَّى أَصَابَ سَرَاةَ الْعَصْرِ نَاجِيَةً
فَمَا تَخَيَّرَ، بَلْ أَهْوَى عَلَى ظَمًّا،
فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْعَاتِي لَبِسْتُ فَتَى
مِنْ سَالِفِ الْكَرَمِ الْمَسْلُوحِ عَنْ يَدِنَا
أَحْلَامُ لُبْنَانَ أَجْسَادًا عَلَى فَمِهِ
تُضْغِي إِلَى السَّحْرِ يُحْيِيهِ بِهِ، فَتَرَى
وَلَيْسَ كَالْفَالِ فِي الْأَدَابِ دَاعِيَةٌ

شَعْبُ أَبِيّ إِلَى تَجْدِيدِ بُنْيَانِ
 أَشَاعَ حَقْدَ اللَّطَى فِي الْحَاكِمِ الْجَانِي
 عَلَى الرَّعِيَّةِ، يَحْدُوهَا لِعُضَيَانِ
 فَالشَّعْبُ مَلِكِي، وَالْأَيَّامُ أَعْوَانِي!
 مَنْ نَاطِرِيهِ، كَبُرْكَانِ بِبُرْكَانِ!
 فَلَسْتُ تَمْلِكُ إِلَّا بَعْضَ عُمَيَّانِ!
 فَلَسْتُ تَعْدِلُ صَدِيقًا بِمِيزَانِي
 وَنُورُ نَفْسِي مَعْقُودٌ بِأَجْفَانِي
 حَتَّى قُشُورِي، حَتَّى جَسَمِي الْفَانِي؟!
 فَهَلْ تَخْفَى عَلَى الصَّفْصَافِ وَالْبَانِ؟!
 وَكُلُّ مُنْعَطَفٍ لِلْحُبِّ تَدْيَانِ
 فَهَلْ لِهَيْبَتِهِ الشَّمَاءُ وَجْهَانِ؟!
 قُوتِ النَّسُورِ، وَهَذَا النَّهْرُ رَوَّانِي
 لِلظُّلْمِ يَوْمٌ وَلِلْمَظْلُومِ يَوْمَانِ
 شَتِيمَةٌ رَحِمَتْ فِي قَلْبِ سَكْرَانِ
 إِنَّ السِّيَادَةَ مَا احْتَاجَتْ لِتَيْجَانِ
 وَمَنْ تَكُنْ، لَسْتُ فِيهَا غَيْرَ سُلْطَانِ ...
 وَحِينَ أُعْصِي ضَلَالًا فِيكَ تَنْهَانِي؟!
 لَكَ الْوَدَاعَةَ وَالطُّغْيَانَ تَوْبَانِ
 إِلَّا لِتَفْرِيقِ أَحْبَابٍ وَإِخْوَانِ
 رُوحِي بِهَا لَمْ أَبْعِ سَهْلِي وَأُظْعَانِي
 لَا بُوْسُهُ، فَبِكَ الْهَدَامُ لَا الْبَانِي
 وَقَدْ زَنَيْتَ فَلَمْ يَهْنَأَ حَبِيبَانِ!
 وَلي عَلِيكَ، وَلَوْ حَجَّبتَ، عَيْنَانِ!
 خَدَائِعُ نَتْنَتْ فِي بَعْضِ عِيدَانِ
 صَدَى تَرْحُفِ أَشْبَاحِ وَأَكْفَانِ!
 عَلَيْهِ أَشْبَاحُ غِيلَانِ وَحِيَتَانِ

وَكَالْحَيَالِ لِسَانَ يُسْتَفَرُّ بِهِ
 وَكَانَ أَنَّ الْبَيَانَ الْحُرَّ فِي دَمِهِ
 فَقَالَ: نَهْجُكَ فِيمَا تَدْعِي خَطْرُ
 أَمَا سَمِعْتَ صُدُورَ الشَّعْبِ تَهْتَفُ لِي؟
 فَأَغْمَدَ الْحُرَّ فِي عَيْنَيْهِ فُوَهَهُ
 وَقَالَ: مَلِكُكَ لَيْسَ الشَّعْبُ، يَا مَلِكِي
 كُنْ مَنْ تَشَاءُ، كُنِ الدُّنْيَا بِكَامِلِهَا،
 جَمَالَ قَلْبِي عُرْيَانُ عَلَى شَفْتِي
 وَكَيْفَ أَكْذِبُ، وَالدُّنْيَا تُصَارِحُنِي
 انظُرْ إِلَى النَّهْرِ فِي صَفْوٍ وَفِي كَدْرٍ
 لِلنُّورِ، فِي كُلِّ مَجْرَى مِنْهُ مِضْقَلَةٌ،
 وَانظُرْ إِلَى حَرْمُونِ الشَّيْخِ كَيْفَ بَدَأَ
 فَذَلِكَ الْجَبَلُ الْجَبَّارُ أَطْعَمَنِي
 خَفَّفَ عُنُوكَ وَاغْسَلَ قَلْبَكَ الْجَانِي
 عَرْشُ الْعَيْتِي عَلَى بُرْكَانِ مُنْكَرِهِ
 مَا كَانَ سُلْطَانُ هَذَا الشَّعْبِ سَيِّدَهُ،
 هَذِي الرَّعِيَّةُ، مَهْمَا تَطَّغَ، نَافِرَةٌ
 تَعْصِي ضَمِيرَكَ وَالدُّنْيَا تَنَاطُ بِهِ
 فَاخْلَعْ وَبَدِّلْ، لَكَ الْحِرْبَاءُ قَاعِدَةٌ،
 مَنْ أَنْتَ؟ أَنْتَ يَدُ سَوْدَاءٍ مَا ارْتَفَعَتْ
 مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ مِنَ الْفَحْشَاءِ لَوْ شَعَرَتْ
 مَنْ جَاءَ نَا بِكَ؟ حُمُقُ الشَّعْبِ، يَا مَلِكِي
 لَقَدْ بَطَرْتَ فَلَمْ تُسْتَرْزِ مُخَدَّرَةٌ
 لَكَ الْحُسَامُ عَلَى رَأْسِي تُسَرِّحُهُ،
 لَمْ يَبْقَ غَيْرُ ثِمَارٍ مِنْكَ فَانِيَّةٌ
 أَمَا سَمِعْتَ هُبُوبَ الرِّيحِ؟! إِنَّ لَهُ
 فِدْمَدَمَ الْحَاكِمِ الْعُضْبَانَ، وَارْتَسَمَتْ

وَأُصْدِرَتْ نَفْسُهُ مَا فِي قَدَارَتِهَا أَلْ
وَصَاحَ: إِنَّ يَكُ ذَا حَدِّ لِسَانِكَ بِي
فَحَمَلَقَ الْحُرُّ فِي الْعَاتِي، وَقَالَ لَهُ:
فَكُلُّ مَا أبتَغِي أَنْ لَا تُقَاطِعَنِي!
حَمْرَاءٍ مِنْ شَهْوَةٍ لِلأَحْمَرِ الْقَانِي
فَلِي لِسَانٌ عَلَيْهِ أَلْمُوتُ حَدَّانِ
أَقْضِي عَدًّا أَوْ أَمُوتُ أَلْيَوْمَ سَيَّانِ
دَعْنِي أَكْمَلُ دِفَاعِي، أَيُّهَا الْجَانِي!

فليكس فارس

وَهَلْ أَنْسَى شُجُونَكَ مَا حَيِّتُ؟!
كَأَنَّكَ فِي غَلِيلِ دَمِي تَبَيْتُ
وَقَدْ غَدَرَ الْحَبِيبُ الْمُسْتَمِيتُ
هَوَى سَاهٍ وَوَجَدَانُ شَتَيْتُ
إِذَا وَصَفْتَ تَنَكَّرَتِ النُّعُوتُ
بَدَلْتُ لَهَا الْحَيَاةَ وَمَا رَوَيْتُ
كَمَا تَهَوَى عَلَى مَضْضِ هَوَيْتُ
شَفِيتَ مِنَ الشَّقَاءِ وَمَا شَفِيتُ
عَلَى جَنْبِيهِ تُعْبَانُ وَحُوتُ
وَفِي عَيْنَيْكَ تَحْتَرِقُ الزُّيُوتُ
وَيَسْمَنُ حَوْلَكَ الْبُغْضُ الْمَقِيتُ
وَأَفَةُ وَحْيِهِ الْأَدْبُ النَّحِيتُ
وَيُكْرَمُ فِي سِوَاهِ الْعَنْكَبُوتُ
وَفِي أَعْمَاقِنَا حُلْمٌ يَمُوتُ
وَكَيْفَ تُشَادُ لِلْأُمَمِ الْبَيْوتُ
وَكَيْفَ يُجَلِّجُ الشَّعْبُ الصَّمُوتُ
فِيخْرِسُهُ بِرُوعَتِهِ السُّكُوتُ
وَلِي مِنْ زَيْتِكَ الْعُلُويُّ قُوتُ

تَذَكَّرُنِي، وَحَقِّكَ مَا نَسَيْتُ
أَجِسُّكَ فِي الْحَرَارَةِ مِنْ حَبِيبِي
وَأَسْمَعُ مِنْكَ مَا أَسْمَعْتُ قَلْبِي
يُغْرَقُ مِنْ عُيُونِكَ فِي عُيُونِي
تَقُولُ: «أَرَى عَلَى وَقْبِكَ حَمْرًا
أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ دِمِّهَا فَإِنِّي
هَوَاكَ هَوَايَ قَلْبُكَ مِثْلُ قَلْبِي
سَلَكْنَا مُعْضِلَ الدُّنْيَا» وَلَكِنْ
تُرَابُ الْقَبْرِ أَسْلَمُ مِنْ فِرَاشِ
رَأَيْتِكَ تَمَلَأُ الدُّنْيَا ضِيَاءً
وَتَفْنِي فِي الْمَحَبَّةِ وَهِيَ بِكْرُ
وَقَلْبُ الْحُرِّ أَقْتَهُ هَوَاهُ
فَفِيهِ يُحَقِّرُ الْحَزَّ الْمَوْشَى
تَكَلَّمَ يَا فَيْلَيْكْسُ فَنَحْنُ صَرَغِي
وَعَلَّمْ كَيْفَ تَكْتَسِبُ الْمَرَاقِي
وَكَيْفَ صَوَاعِقُ الْأَفْكَارِ تَهْوِي
أَفْتَشُ فِي سُكُوتِكَ عَن بَيَانِي
وَأَبْحَثُ عَن شَعَاعِكَ فِي سِرَاجِي

* * *

سَمِعْتُ الْمَنْبَرَ الْمُحْرُونَ يَشْكُو
يَقُولُ: «رُزِقْتُهُ أَشْهَى طَعَامِي
أَبْرُ الْوُلْدِ بِالْأَبَاءِ خُلُقًا
عَلَى عُرْيِي نَمًا أَمَلًا وَلَمَّا
وَكَانَ وَكُنْتُ صَمُصَامًا وَغَمْدًا
يَلْفُ وَتَيْنُهُ حَشْبِي فَيَحْيَا
وَكَنْتُ أَوْدُ لَوْ ذُوِبْتُ نَوُطًا
وَنَوُطُ الْبَعْضِ تُحْرَمُهُ الْأَعَالِي
سَمِعْتُ عُرُوسَ شَعْرِكَ فِي حَيَالِي
فَفِي عَيْنِيهِ ذُوبُ السَّحْرِ يُرْغِي
بَذَلْتُ لَهُ الْخَطَايَا مِنْ عُرُوقِي
وَأَطْلَقْتُ الرَّوِّيَّ لَهُ جَوَارِي

فَتَتَضَعُ الْأَرَائِكُ وَالتُّخُوتُ
وَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ قَوِيْتُ
وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيَّ إِذَا زُهَيْتُ
أَظَلَّتْنِي ذِرَاعَاهُ كُسَيْتُ
تُجَلِّلُنِي الْبُرُوقُ إِذَا عَرِيْتُ
وَيَنْبِضُ لِي بِهِ شَرَفٌ وَصِيْتُ
لَهُ وَإِلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيْتُ
وَيُؤَمِّنُحُ الزَّبَانِيَةَ التَّحُوتُ»
تَقُولُ: «عَشِقْتُهُ حَتَّى اشْتَهَيْتُ
وَفِي أَهْدَابِهِ الْمَسْكَ الْفَتِيْتُ
وَجِئْتُ لَمَسْتُ مَرَشَفَهُ نَقِيْتُ
قِيَانٌ فِي مَزَاهِرِهَا رَبِيْتُ»

* * *

سَمِعْتُ بِلَادَكَ التَّكَلَّى تُنَادِي:
لِي الْأَنْوَارُ فِي عَنَتِ اللَّيَالِي
لِي الْفُصْحَى عَلَى أَدَبِ بَلِيغِ
وَلَيْسَ لِي الصُّوَارِي فِي خُدُورِي
يُقْعَقِعُ فِي مَشَافِرِهَا سَمِيحُ
عَذِيرِي مِنْ مَمَالِيكَ مَوَالِ

«لِي الْغَطْرِيفُ وَالرَّجُلُ الثَّبِيْتُ
إِذَا مَا رَاعَتِ الدُّنْيَا الْعَنُوتُ
وَمِنْ أَلْبَانِ تَدْيِيهَا سَقِيْتُ
تَسَرَّتْنِي وَكَالسَّلْعِ اقْتَنَيْتُ
وَأَدْرُدُ أَشْنَعُ الدَّعْوَى هَرِيْتُ
لَهُمْ خُطَطٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سُمُوتُ»

* * *

سَمِعْتُ الْقَبْرَ يَنْفُثُ مِنْ دُجَاهِ
يَقُولُ: «إِلَيَّ يَأْتِي كُلُّ حَيٍّ
يُقِيمُ اثْنَانِ فِي دُنْيَا سَكُونِي

حَدِيثًا فِيهِ أَشْجَانِي الْخَفُوتُ
وَيَبْقَى فِي تُرَابِي مَا بَقِيْتُ
فَتَى يَفْنَى وَآخِرُ لَا يَمُوتُ»

بشر بن عوانة

لَأَرْفَعُ مِنْكَ فِي النَّاسُوتِ قَدْرًا
وَعَبِيرَ الْكَهْفِ لَمْ يَعْرِفْ مَقْرًا
كَفَاكَ تَفَاخُرًا وَكَفَاهُ فَخْرًا
تَسَوَّدَ فِي الْقَبِيلَةِ حِينَ أَثْرَى!
وَقَدْ حَزَرَتْ بِهِ وَطْرًا وَأَمْرًا
وَبَابِنَةَ عَمِّكَ الْمِضْيَافِ أَحْرَى»
فَقَالَتْ: «إِنَّهَا فِي الْحُسْنِ بَشْرَى
تَمَنَّى الْبَدْرَ فِيهِ أَنْ يَمُرًّا
تُشَدُّ بِهَا قُلُوبُ الْعُرَبِ أُسْرَى»
وَكَاشَفَهُ، فَلَاقَى مِنْهُ زَجْرًا
أَفَاطِمَةَ لِغَيْرِ دَمِي تُسْرَى؟
لِأَمَالِ الْقَبِيلِ عَمِلْتُ جِسْرًا
يَرُدُّ عَوَائِلَ الْعَزَوَاتِ حُمْرًا
وَتَأْبَى يَا ظَلُومَ عَلَيَّ بِكْرًا»
يُحَرِّبُ تَارَةً وَيَعُجُّ أُخْرَى
فَكَانَ الذُّنْبُ فَتْكًَا أَوْ أَضْرًا
وَأَوْجَسَ عَمُّهُ خَوْفًا وَدُعْرًا
لَهُ شَرَكًا لِيُوقِعَ فِيهِ زَمْرًا

أَتَجْهَلُ قَدْرَ بَشْرٍ؟! إِنَّ بَشْرًا
نَمَا بَيْنَ الْأَبَاعِرِ فِي الْبَرَارِي
وَلَكِنْ حَلَّ فِي بُرْدَيْهِ وَحْيٌ
وَهَلَّ فِي بُرْدَتَيْكَ سَوَى دَعْيٍ
رَأَتْ بَشْرًا عَجُوزُ ذَاتِ يَوْمٍ
فَقَالَتْ: «أَنْتِ تَبْحَثُ عَنْ عَرُوسٍ
فَقَالَ لَهَا: «وَهَلْ هِيَ ذَاتُ حُسْنٍ؟»
لَهَا شَعْرٌ كَأَنَّ اللَّيْلَ مِنْهُ
كَأَنَّ ذُوَابَتَيْهِ جِبَالَ أُسْرِ
فَخَفَّ لِعَمِّهِ نَشْوَانَ جَذْلًا
فَقَالَ لَهُ: «أَبَيْتَ اللَّعْنَ، قُلْ لِي
أَتَأْبَاهَا عَلَيَّ وَمِنْ ذِرَاعِي
فَمَنْ لَكَ فِي الرَّعِيَّةِ غَيْرُ بَشْرٍ
وَكَمْ بِكْرٌ وَهَبْتِكَ مِنْ دِمَائِي
وَهَامَ مَشَعَتِ الْأَحْلَامِ غَيْظًا
وَتَارَ عَلَى قَبِيلَتِهِ بِضْرٌ
فَضَجَّ بَنُو الرَّعِيَّةِ مِنْ أَذَاهُ
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَقَدْ تَحَرَّى

وَقَالَ لَهُ: إِذَا مَا كُنْتَ شَهْمًا
 فَدَبَّتْ سُورَةُ الْعَرَبِيِّ فِيهِ
 وَجَنَّبَ فِي حِمَالَتِهِ جُرَازًا
 وَكَانَ الْجَوْ مُرَبِّدًا رَهِيْبًا
 فَسَامَرَهُ حَفِيْفُ الْغَابِ جِينًا
 وَفِيْمَا بَشْرٌ يَطْوِي الْبَيْدَ طِيًّا
 إِذَا بِالْمُهْرِ أَجْفَلَ وَأَعْتَرَاهُ
 فَأَعْمَدَ فِي الدِّيَاجِي نَاطِرِيهِ
 وَفَاضَتْ نَشْوَةٌ مِنْ مَقْلَتِيهِ
 وَحِينَ جَدَا انْتَصَى السَّيْفَ الْمُرَوَّى
 فَلَسْتُ بِرَاجِعٍ يَا لَيْثُ حَتَّى
 وَأَقْدَمَ مُثَبِّتِ الْأَبْصَارِ فِيهِ
 وَكَانَ اللَّيْثُ يَفْرَقُ مِنْهُ طَوْرًا
 وَفِي الْأَحَاطِظِ لَهَبٌ غَضُوبٌ
 يَنْشُ بِشِدْقِهِ زَبْدٌ حَرُورٌ
 وَضَجَّ الْغَابُ فَالْدُنْيَا صِرَاعٌ
 وَحِينَ رَأَهُ أَرْسَخَ مِنْهُ بَاسًا
 وَأَطْلَقَ بِشْرٌ مُنْصَلَهُ عَلَيْهِ
 وَتَارَ الْكُونُ تَوْرَتَهُ فَالْقَى
 وَأَسْكَرَ مَشْهَدُ الضَّرْعَامِ بِشْرًا
 فَكَدَّ قَمِيصُهُ عَنْهُ وَأَمَلَى
 «أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتَ بِبَطْنِ حَبْتِ
 وَوَالَى سَيْرَهُ يَمْتَلِّ فِيهِ
 وَأَنْدَاءُ الصَّبَاحِ تَفُوحٌ طِيْبًا
 وَفِيْمَا الْحُبُّ يَنْهَبُهُ عَرَاهُ
 وَأَبْصَرَ حَيَّةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ
 أَدَابَ الصُّبْحِ حَمْرَتَهُ عَلَيْهَا

أَنْلِنِي مِنْ حُرَاَعَةٍ مِنْكَ مَهْرًا
 وَأَسْرَجَ مَهْرَهُ حَتَّى يَكْرَأَ
 لَهِيْبُ الْمَوْتِ يَنْفُتُ مِنْهُ جَمْرًا
 كَأَنَّ مِنَ الْجَجِيْمِ عَلَيْهِ سِتْرًا
 وَجِينًا سَامَرْتَهُ طُيُوفٌ ذِكْرَى
 وَيَنْشُرْهَا عَلَى الْأَمَالِ نَشْرًا
 جُمُودٌ دُمَى وَأَحْجَمٌ وَأَقْشَعْرًا
 فَأَبْصَرَ فِي ثَنَائِيَاهَا هَزْبِرًا
 مُشْعَشَعَةً فَقَالَ: عَقَرْتُ مَهْرًا
 وَقَالَ: انْتَبْتُ فَإِنَّكَ لَنْ تَفِرَّا
 يَصِرُّ بِكَ الذُّبَابُ الْعَثُّ صِرًّا
 فَكَانَ كِلَاهُمَا أَسَدًا تَسْرَى
 وَيَبْسُطُ تَارَةً لِلْوَثْبِ ظُفْرًا
 يُرَاشِقُهُ بِهِ شَفْعًا وَوَتْرًا
 وَيَنْفُتُ صَدْرَهُ حَمَمًا أَحْرًا
 تُفَجِّرُ فِي رُوَاقِ اللَّيْلِ شِرًّا
 تَذَابُّ وَالْغَضَنْفَرُ كَانَ حُرًّا
 فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
 عَلَى اللَّيْلِ الْحُسَامِ فَدَارَ فَجْرًا
 وَكَمْ شَرِبَ الدَّمَّ الْمُهْرَاقَ حَمْرًا
 عَلَيْهِ بِالدَّمِّ الْمَطْلُولِ شِعْرًا
 وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبِرُ أَخَاكَ بِشْرًا؟!«
 لِيَبْلُغَ مَارَبًا قَدْ كَانَ وَعْرًا
 وَيَسْكُبُهَا النَّسِيمَ عَلَيْهِ عَطْرًا
 فَجِيحٌ مَرٌّ فِي أذُنِيهِ مَرًّا
 مِنْ الْأَدْعَالِ مِثْلَ التُّرْبِ سَمْرًا
 فَمَالَتْ مِنْ حُمُورِ الصُّبْحِ سَكْرَى

وَشَعَّتْ كَالزُّجَاجِ وَقَدْ تَلَوْتُ
فَقَالَ: «أُحُوكِ كَأَنَّ عَلَيَّ وَقُرَا
فَهَلْ بُعِثَتْ بِهِ رُوحٌ تَرَدَّتْ
وَلَأَقَاهَا بِصَدْرٍ رَاضٍ صَبْرًا
فَكَانَتْ تَنْثَنِي عَنْهُ اغْتِيَالًا
عَلَى أَعْشَابِهَا بَطْنًا وَظَهْرًا
وَلَكِنْ أَنْتِ أَثْقَلُ مِنْهُ وَقُرَا
بِحِلْدِ الْأَفْعُوانِ تَرُومُ نَارًا؟!
وَلَأَقْتَهُ بِصَدْرٍ ضَاقٍ صَبْرًا
وَتُنْشِبُ رَأْسَهَا لِلْفَرَسِ عُدْرًا

* * *

«تُرَى مَاذَا يَحُلُّ بِنَا إِذَا مَا
فَبِشْرٍ مَرْجِعُ الْفَرَسَانِ فِينَا
بَعِثْتُ بِهِ إِلَى حَتْفِ دَمِيمٍ
فَإِنْ يَسْلَمُ مِنَ الْأَسَدِ ابْنِ دَاذَا
وَشَمَّرَ لِلْحَاقِ بِهِ، وَكَانَتْ
عَلَى فَرَسٍ كَأَنَّ الْجِنَّ تَعْدُو
وَلَمَّا أَدْرَكَ ابْنَ أَخِيهِ حَيًّا
وَقَالَ: «اعِدْ عَنِ الْأَفْعَى فَإِنِّي
لَأَنْتِ أَحَقُّ مِنْ أُمَّرَاءِ قَوْمِي
فَأَلْهَبَتِ الْحَمَاسَةَ كَفَّ بِشْرٍ
وَأَطْعَمَ خَصْمَهُ يُسْرِى يَدِيهِ
فَقَبِلَ عَمُّهُ يَدَهُ بِحُبِّ
أَلَا عُدْ بِي إِلَى حَيْثُ السَّرَايَا
فَقَدْ شَهَدْتُ صُخُورُ الْغَابِ يَا ابْنِي
وَعَادَا وَالْغُصُونُ تَمِيلُ تَيْهَا
وَتَعْطِفُ فِي الطَّرِيقِ عَلَى يَدِيهِ
وَإِذْ كَانَا يَجُوبَانِ الْبَرَارِي
إِذَا بِمُلْتَمِ الْعَيْنَيْنِ نَجِدُ
وَقَالَ: «كَفَّاكَ تَفْخَرُ يَا عَصَامَا
قَتَلْتَ بِهَيْمَةَ وَقَتَلْتَ سُوسَا
فَقَالَ: «وَمَنْ تَكُونُ؟» فَقَالَ: «إِنِّي

أُصِيبَ بِنَكْبَةٍ؟ اللَّهُ أَدْرَى
وَحَامِينَا إِذَا الْجَوُّ أَكْفَهْرًا
كَأَنِّي لِلْقَبِيلِ حَفَرْتُ قَبْرًا
فَلَنْ يَنْجُو مِنَ الْأَفْعَى طِمْرًا»
بِمَاهُ تُثِيرُهُ وَالْعَيْنُ شُكْرَى
بِرَجْلَيْهَا فَتَخْتَفِيَانِ سَحْرًا
يَرُوعُ الْوَحْشُ مِنْهُ جَدًّا وَخَرًّا
رَأَيْتُكَ أَرْحَبَ الْأَعْرَابِ صَدْرًا
بِفَاطِمَةَ فَكُنْ لِي ابْنًا وَصَهْرًا»
فَصَعَدَ سَيْفُهُ الْمَصْدُورُ جَمْرًا
وَأَجْرَى الْمَوْتَ مِنْ يَمْنَاهُ نَهْرًا
وَقَالَ: «أَتَيْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ عُدْرًا
تُقِيمُ لِعَرْسِكَ الْيَوْمَ الْأَعْرَا
بِأَنَّكَ فَارِسُ الْأَعْرَابِ طْرًا»
كَأَنَّ بِهَا لِمَا شَهَدْتَهُ سُكْرًا
تُقْبِلُ مِنْهُمَا يُمْنَى وَيُسْرَى
وَيَنْتَرُ بِشْرُ آيِ الْفَخْرِ نَثْرًا
تَعْرِضُ فِي الطَّرِيقِ لَهُ مُصْرًا
فَفَخْرَكَ مَرَّ فِي أَدْنَى فَجْرًا
وَتَمَلَأُ مَاضِعِيكَ قَدَى وَنُكْرًا؟!
نَذِيرُ الْمَوْتِ جِئْتُ إِلَيْكَ جَهْرًا

أَنَا دَهْرٌ وَأَيَّامِي سَعِيرٌ
وَفِي غَضَبٍ تَبَدَّى الْمَوْتُ فِيهِ
أَصَابَ مُلْتَمُّ الْعَيْنَيْنِ بَشْرًا
وَصَاحَ بِهِ: «أَبَيْتَ اللَّعْنَ فَارْفَعِ
فَقَالَ الْخَصْمُ، وَهُوَ يُمِيطُ سِتْرًا:
فَعَاوَدَ بَشْرٌ تَذْكَارَاتُ عَهْدٍ
وَقَبْلَهُ وَقَالَ: «أَرَاكَ يَا ابْنِي
إِذَا نَارَلْتَنِي نَارَلْتَ دَهْرًا!»
عَلَى سَيْفَيْهِمَا كَرًّا وَفَرًّا
فَأَحْجَمَ عَنْهُ إِخْفَاقًا وَقَسْرًا
لِتَّامَكَ لَا تَطَلَّ عَلَيَّ سِرًّا»
«أَنَا ابْنُكَ فَاَنْظُرِ الْوَلَدَ الْأَبْرَأَ»
تَصْرَمَّ تَارِكًا فِي الصَّدْرِ ذِكْرِي
بِفَاطِمَةَ ابْنَةِ الْأَعْمَامِ أَحْرَى»

الحجر الحي

أمام تمثال فوزي الملعوف

فَقَدْ وَصَلْتَ وَشَوَّطُ الْمَجْدِ مُخْتَصِرُ
مَا دَامَ قَلْبُكَ فِي جَنْبِيهِ يَسْتَعِرُ
هَذِي الْفِرَاحُ عَلَيَّهَا الْأَبْرُدُ الْحُبْرُ
وَجِئْتَهَا وَعَلَى أَبْدَانِهَا أُزْرُ
إِلَّا لِيُخْصِبَ فِي آصَالِهَا الصَّدْرُ
أَحْلَامَهَا الْبَيْضُ إِلَّا حِينَ تَنْفَجِرُ
عَلَيْهِ مِنْ رُوحِكَ الْأَعْرَاقُ وَالسُّرُرُ
يَقْطَانُهُ فِيهِمَا أَحْلَامُكَ الْغُرُرُ
مَا ضَرَّكَ الذُّنْبُ جَوْعَانًا أَوْ النِّمْرُ
هُوَ جُ الدُّجَى فَعَلَى عَيْنَيْكَ تَنْصَهَرُ
وَلَا يُجْهَمُ فِي أَجْفَانِكَ الْحَوْرُ
إِلَّا عَلَى جَانِبِي وَقَبَيْكَ تَنْتَجِرُ
سَيَّانَ نَامُوا عَلَى ذُلِّ أُمَّ احْتَضِرُوا
عُيُونَنَا وَعُجَابُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
وَمِنْ قِيَاصِرِهَا إِلَّا دُمَى كِسْرُ

أَطْبِقْ جَنَاحَيْكَ مَعْقُودًا لَكَ الظَّفْرُ
مَا ضَرَّ وَكْرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ مُنْطَفِئًا
أَلَيْسَ مِنْ رِيَشِكَ الْمَحْبُورِ مُطْرَفُهُ
تَرَكَتَهَا وَعَلَى أَكْتَاغِهَا زَعْبُ
هَذِي الْبَوَاكِيرُ مَا أَوْرَدَتْ سُحْرَتَهَا
قَدَائِفُ لَنْ يَرَى فَجْرُ النُّسُورِ عَلَى
أَنْيَتِهِ فِي النُّحَاسِ الْحَيِّ طَيِّبَةً
عَيْنَاكَ فِي الْحَجَرِ الْمُصْبُوبِ سَاهِرَةً
تُوَاجِهُ اللَّيْلَ هَوْلَ الرِّيحِ صَاخِبَةً
نِيرَانُ عَبَقَرٍ فِي عَيْنَيْكَ إِنْ مَرَدَتْ
مَهْمَا طَغَى اللَّيْلُ لَا تُشْقِيكَ زَوْبَعَةٌ
صَلْبٌ عَلَى الدَّهْرِ لَا تَهْوِي صَوَاعِقُهُ
يَقْطَانُ وَالنَّاسُ عُمِي فِي مَرَاقِدِهِمْ
عَارٌ عَلَيْنَا نَنَامُ اللَّيْلَ هَانِئَةً
لَمْ يَبْقُ مِنْ رُومَةٍ إِلَّا صَعَائِرُهَا

عَلَى جَبِينِكَ نُورٌ مِنْهُ يَنْصَفِرُ
 الْعِطْرُ وَالنُّورُ وَالْأَلْحَانُ وَالصُّوَرُ
 مِنْ مِرْشَقِيهَا دَمُ الْعُنُقُودِ يَخْتَمِرُ
 فِيهِ لِكُلِّ نَسِيمٍ عَابِرٍ وَتَرُ
 كَأَنَّما الْغَيْبُ فِي عَيْنَيْكَ مُنْحَصِرُ
 مَرَّ الْجَحِيمِ وَلَمْ يُطْرَفْ لَهَا بَصَرُ
 أَيَحْبُبُ الْخُلْدُ مَنْ يَبْلَى وَيَنْدَثِرُ؟!
 عَلَيْكَ آخِرَ قَيْدٍ شَدَّهُ الْبَشَرُ
 مِنَ الْفَنَاءِ لِحَاءِ عَنكَ يُقْتَتِرُ
 عَنِ النَّبُوعِ وَصَخْرِ الْقَبْرِ مُنْحَدِرُ
 وَقَاحِ عَوْرَتِهَا أَنْ تُسَدَلَ السُّتْرُ
 يَصُونُهَا الْمَلَكَانِ: الْحُبُّ وَالْخَفَرُ
 كَأَنَّهُ بِجَمَالِ اللَّهِ مُؤْتَزِرُ
 وَفِي يَدَيْهَا نَجُومٌ لِلْعُلَى أُخْرُ
 لَوْ ذَاقَتِ الْأَرْضُ مِنْ أُنْمَارِهِ سَقَرُ
 جَرَتْ بِهِ الدَّعَاةُ الْخَضْرَاءُ وَالْكَبِيرُ
 فَكُلُّ قُبْلَةٍ حُبٍّ مِنْ فَمِي قَمَرُ
 وَسَادَتِي وَفِرَاشِي قَلْبُهُ الْعَطِرُ
 فَقَامَ يُغْصِبُنِي فِي شَعْرِهِ الْبَطْرُ
 كَأَنَّنِي سَلْعَةً تُشْرَى وَتُحْتَكَّرُ
 صَارَ الْحُطَيْبِيَّةُ فِي أَحْقَابِهِ عُمَرُ

* * *

فَصُلِّبِكَ الْمُصْطَفَى لِلْخُلْدِ مُدْخَرُ
 مِنْهُ النُّجُومُ، فَفُوزِي وَحَدَّهُ أُسْرُ
 وَرَبِّ مَيِّتٍ غَدَا حَيًّا بِهِ الْحَجَرُ

وَتَشْهَدُ الصُّبْحُ عُرْسَ الصُّبْحِ مُنْعَقِدًا
 وَلَا تَمُّ لَكَ تُزْجِي، مِنْ مَوَائِدِهَا
 وَالشَّمْسُ بِالْجَفْنَةِ الْخَضْرَاءِ عَاشِقَةٌ
 وَالذُّلْبُ — كِنَارَةُ الْأَنْسَامِ — مَرْتَعُشُ
 تَشُدُّ جَفْنَيْكَ رُؤْيَا لَا قَرَارَ لَهَا
 عَيْنُ الْعَظِيمِ ضِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
 رَفَعْتَ عَنكَ سِتَارَ النَّاسِ مُنْتَفِضًا
 هَذِي السُّتَارَةَ كَانَتْ فِي تَشَدُّدِهَا
 كَأَنَّهَا وَهِيَ تَنْضَى خِلْعَةً كَذَبَتْ
 مُنْذُ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَكْفَانَ هَاوِيَّةُ
 كَمْ فِي بِلَادِكَ مِنْ نَفْسٍ تَوَدُّ عَلَى
 جَاءَتْ عَرُوسُكَ فِي حُلْمِي تَخَاطِبُنِي
 شَبَابُهَا قَبْلَ الْأَجْيَالِ فِي دَمِهِ
 فِي مُقْلَتَيْهَا نَجُومٌ لِلْهُوَى جُدُدُ
 مِنْ جِنَّةِ الْحُبِّ عَرَسُ الْخَيْرِ مَا نَبَتَتْ
 قَالَتْ: ثَمَارِي لَمْ تُبْدَلْ لِغَيْرِ فَتَى
 كَمْ شَاعِرٍ نَوَّرَتْ فِي رُوحِهِ قُبْلِي
 وَلَمْ أَطَأْ قَلْبَهُ إِلَّا عَلَى زَهْرٍ
 وَكَمْ فَتَى بَطَرَ الْإِلَهَامُ فِي دَمِهِ
 أَطْعَمْتُهُ شَفْتِي حِينًا فَسَاوَمَ بِي
 لَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ مِعْطَفِي حَجَلًا

أَبَا النُّسُورِ، سَقَيْتَ الْمَوْتَ حَمْرَتَهُ
 مَا ضَرَّ نَسْرَكَ لَمْ يُعْقَبْ وَقَدْ نَسَلَتْ
 لَرَبِّ حَيٍّ غَدَا فِي قَوْمِهِ حَجْرًا

شاعر الليالي

إلى روح إلياس فياض

فَهُوَ شَطْرٌ مِّنَ الضِّيَاءِ الْكَبِيرِ
عَمَرُوا لُجَّةَ الظَّلَامِ بِنُورِ
أَرْضِ هُمْ كَهْرَبَاءَ هَذَا الْأَثِيرِ
شَعَرَ اللَّيْلِ بِانْقِلَابِ خَطِيرِ
بِمُجَاجَاتِ زَيْتِهِ الْمَنْدُورِ
لِ وَتَشَقَّى فِي الشَّاطِيءِ الْمَهْجُورِ
حَامِلًا لِلنُّفُوسِ عِطَرَ الْبُخُورِ
أَنْ يُرَى الْبُؤْسُ شُعْلَةً فِي الصُّدُورِ
يَبْسِمُ الْمَجْدُ فِي جَنَاحِ النَّسُورِ
فَهِيَ تُخْفِي أَفْبَاسَهَا فِي الضَّمِيرِ
مِنْ وَتُعْطِيهِ لِلْمَعْرَى الصَّرِيرِ

مُلِّيَ النُّورَ قَبْلَ عَهْدِ الْبُدُورِ
أَطْلَعَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ رِجَالًا
هُمْ بُدُورُ الْأَجْيَالِ هُمْ شُعْرَاءُ الْـ
كُلَّمَا ذَرَّ شَاعِرٌ فِي سَمَاءِ
إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ يَشْقَى
كَالْمَنَارَاتِ تَبَعَتْ النُّورَ فِي اللَّيْلِ
أَوْ دُخَانَ مِنَ الْمَجَامِرِ يَرْقَى
هُوَ مِنْ نَزْوَةِ النَّبُوءِ أَذَانُ
وَقَضَاءِ لِلْعَبْقَرِيَّةِ أَلَا
هَكَذَا الْحِكْمَةُ الْخَفِيَّةُ شَاءَتْ
تَمْنَعُ النُّورَ عَنْ عُيُونِ السَّلَاطِيـ

* * *

مَعُ فِيهِ أَعْرُودَةٌ لِلطُّبُورِ
هَا تَخَلَّتْ عَنْ خَدْرِهَا لِلصُّخُورِ
رِ بَقَايَا الْأَمَالِ فِي الْمَصْدُورِ

أَوْحَشَ الرَّوْضُ فِي الْخَرِيفِ فَلَا تَسْ
وَالزُّهُورُ الَّتِي تَنْشَقَّتْ رِيًّا
وَسُقُوطُ الْأَوْرَاقِ يَسْلُخُ فِي الْفَجْـ

أَيْنَ تِلْكَ الزُّهُورُ يَنْفِرُطُ الصُّبُّ حُ عَلَيَّهَا بِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْتُورِ؟!
يَدْبُلُ الزُّهُرُ فِي الْخَرِيفِ وَيُبْقِي لِبُدُورِ الرَّبِيعِ بَعْضُ عَطُورِ
هَكَذَا الشَّاعِرُ الْمُحَلَّقُ إِذْ يَمُ ضِي وَتَبْقَى آثَارُهُ لِلدُّهُورِ

* * *

لَمْ يَمُتْ شَاعِرُ «اللِّيَالِي» فَعَيْنَا هُ تَشْعَانِ فِي «الْكِتَابِ الصَّغِيرِ»
رُبَّ سِفْرٍ أَضَاءَ هَيْكَلِ نُورِ خَلَدَتْ فِيهِ مُقَلَّتَا شَكْسِبِيرِ
رُبَّ سِفْرٍ مَحَا قُصُورَ الدَّهَاقِي نِ وَأَعْلَى بِالْمَجْدِ كُوحِ الْفَقِيرِ
لَا يَمُوتُ «الْفَيَاضُ» وَالشُّعْرُ حَيٌّ وَعَلَى الْبُوسِ بِسَمَةِ لِلتُّغُورِ
وَعَلَى مَخْجَرِ الْيَتِيمِ مِنَ الْقَلْبِ بِ بِمَاءٍ مَحْمُومَةٍ بِالزَّفِيرِ
وَقُلُوبِ الشَّبَابِ تَنْبِضُ لِلْحُ بِّ وَتَأْوِي إِلَيَّ عَذَارَى الْخُدُورِ
لَا يَمُوتُ الْفَيَاضُ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَاحِ تَهْتَزُّ لِاخْتِلَاجِ الصَّرِيرِ
وَجَمَالَ الْأَفْكَارِ مِنْ مُحْرَقَاتِ الْ قَلْبِ يَمْتَدُّ فِي شُعَاعِ طُهُورِ
وَالسَّمَاعِ الطَّافِي عَلَى وَتَرِ الشُّعْ رِ يُشِيرُ الْهَوَى بِمُرْدٍ وَحُورِ
يَا خَيَالًا فِي الصُّبْحِ خَدَرَ أَجْفَا نِي وَنُورًا فِي اللَّيْلِ كَانَ سَمِيرِي
قُلْ لَهُمْ: أَسْتَرِيحُ فِي قَصْرِي الْمُمِ لُوكِ مِنْ بُوسِ بَيْتِي الْمَاجُورِ
رَبِحِ السَّيْفِ فَايُنِيَاتِ الْقَضَايَا وَمَلَكْتُ الْعَلَى بِبَعْضِ سَطُورِ
مَلِكُ فِي نُجْنَتِي يَتَمَنَّى مَبْسَمِ الْفَجْرِ لَوْ يَكُونُ سَفِيرِي
دَوْلَتِي بِالْخُلُودِ نَيْطَتْ لِأَنِّي لَمْ أَشْهَدَهَا بِالْعَاجِ وَالْبِرْفِيرِ
قُلْ لَهُمْ: نَمْتُ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الشُّو كِ مِرَارًا وَمَرَّةً فِي سَرِيرِي
إِنَّ مَوْتِي عَلَى الرَّبَابِ رُقَادٌ يَنْتَهِي بِي إِلَى صَبَاحِ مُنِيرِ
يَرْقُدُ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ مِرَارًا إِنَّمَا السَّرُّ فِي الرُّقَادِ الْأَخِيرِ
قُلْ لَهُمْ: تَحْطُمُونَ فِي الْأَرْضِ كَأَسِي وَبِمَوْتِي تُقَدِّسُونَ خُمُورِي
عَقَّ زَهْرِي الْوَرَى وَقَدْ يَتَمَنَّى قَطْرَةً لِلنَّفُوسِ مِنْ إِكْسِيرِي
زَهْرُ الْمَجْدِ لَا يُفْتَحُ لِلشَّ عِرِّ إِلَّا عَلَى ضِفَافِ الْقُبُورِ

* * *

نَمْ قَرِيرًا فَسَوْفَ يَأْتِي صَبَاحُ يَمْهُدُ الرُّوحَ لِانْقِلَابِ كَبِيرِ
وَعُصُونُ الْخَرِيفِ لَا بُدَّ أَنْ تَمُ سِي غُصُونِ الرَّبِيعِ بَعْدَ شُهُورِ

عودة جبران

فَخَفَّ الْعَذَابُ وَطَابَ السَّفَرُ
أَخُوكَ يُنَاجِيكَ خَلْفَ الشَّجَرِ
يَهْزُ بِهَا الشُّوقَ حَتَّى الْحَجَرِ
وَهَذِي الْجِبَالُ، وَهَذَا الْحَوْرُ
جَلَالُ الْقُرُونِ عَلَيْهَا انْتَشَرُ
تُنَادِيكَ مِنْ شُرَفَاتِ الْقَمَرِ
وَمَا زَالَتْ الْهَضْبَاتُ الْأَخْرُ
سَوَاعِدَ دَقَّتْ وَخُلِقَا ضَمَرَ
وَإِنْ رَاغَ مِنْهُ صِبَاغُ الطَّرْرِ
وَهَلْ يَتَبَدَّلُ إِلَّا الْخَبَرُ؟!
وَمَهْدَ الْهَوَى وَالْحَنَانَ الْأَبْرُ
أَحَبُّ وَأَقْدَسَ هَذَا الْمَقَرُ
فَنَبَاتَ بِالْأَدَبِ الْمُبْتَكَرُ
بِنَارِ الْأُلُوهَةِ يَا ابْنَ الْبَشَرِ
تَنْبِيئِي بِالْحَدِيثِ الْمُنْتَظَرِ
تَشْطَى عَلَيْهِ الْأَسَى فَاَنْكَسِرُ
يَطْفُو عَلَيْهِ صَبَاحُ أَغْرُ
وَيَمْسَحُهُ بِزُيُوتِ الْكَبْرِ

خَلَعْتَ عَنِ الرُّوحِ نَوْبَ الْمَدْرِ
وَأَقْبَلْتَ، فَالْقَمَرُ الْمُسْتَهَامُ
وَهَذِي بِلَادُكَ مَهْدُ الزَّمَانِ
وَهَذَا النَّسِيمُ كَمَا كَانَ أَمْسِ
وَهَذِي الْكُهُوفُ بِصُلْبِ الصُّخُورِ
وَهَذِي عَدَارَاكَ يَا ابْنَ الرَّبِيعِ
وَصِنِينُ مَا زَالَ جَارَ السَّمَاءِ
وَإِنْ تَكَ تُبْصِرُ فِي سَفْحِهَا
فَرُوحُ بِلَادِكَ لَمَّا يَزَلُ
تَبَدَّلَ مِنْهُ الْإِطَارُ الْهَزِيلُ
حَكِيمِ الزَّمَانِ وَقِيئَارَهُ
هَذَا الْحَوْرُ فَارْقُدْ قَرِيرًا فَمَا
هَذَا الْأَنْبِيَاءِ الْأَلَى قَبْلُوكَ
هَذَا طَهَّرَ الشَّعْرُ فِي شَفْتَيْكَ
سَمِعْتَ عَرُوسَكَ مِنْذُ لَيَالٍ
وَفِي يَدَيْهَا خَشَبَاتُ رَبَابٍ
وَأَبْصَرْتَ وَجْهَكَ هَذَا الصَّبَاحِ
فَيَغْمُرُهُ بِبُخُورِ الْحَنَانِ

وَيَعْقِدُ فِي شَفَرَاتِ جُفُونِكَ ذَرَاتِ نُورٍ كَرُوبًا ظَهَرَ
كَأَنَّ عَرَائِسَكَ الْخَالِدَاتِ وَقَدْ كُسِيَتْ مِنْ رُؤَاكِ الْحَبْرُ
أَتَتْكَ تَوَدُّعُ هَذَا الْجَمَالِ فَذَابَتْ عَلَى وَجْهِكَ الْمُحْتَضِرُ

* * *

عَرُوسُكَ عَذْرَاءٌ مِنْ عُبُقِرِ مَعْرِفَةٌ بِرُمُوزِ السُّورِ
تُذِيبُ عَلَيْكَ رُؤَى الْأَنْبِيَاءِ وَلِلْحُبِّ فِي شَفَتَيْهَا ثَمَرُ
مِنَ السُّحْرِ فِي مُقْلَتَيْهَا رَشَاشُ وَعَانَقَتْهَا فِي خُدُودِ الرَّبِيعِ
فَدَعْدَعَتْهَا فِي خُدُودِ الرَّبِيعِ تُخَدِّرُهَا عِقَّةٌ فِي النَّظَرِ
عَزَلَتْ لَهَا حَوَّةٌ فِي الْجُفُونِ شَفَتَيْهَا وَلَوْنَتْ تِلْكَ الصُّورِ
وَعَمَّسَتْ رِيشَةً وَحِيكَ فِي وَمَا زِلْتَ تُدْمِيهِ حَتَّى انْفَجَرَ
مَشَاهِدُ أَدْمَيْتَ قَلْبَكَ فِيهَا كَ مِنْهُ عَلَى كُلِّ لَوْحٍ أَثَرُ
تَبَارَكَ قَلْبٌ تَفِيضُ رُسُومُ نَقِيٌّ كَوَجْهِكَ أَوْ كَالسَّحَرِ
وَجِئْتَ الْوَرَى بِأَنَاشِيدِ حُبِّ كَ مِنْ حَلْقِ إِنْسٍ وَلَا مِنْ وَتَرِ
أَنَاشِيدَ مَا صَعِدَتْ قَبْلَ عَهْدِ رِضَاعِ الْهُوَى مُنْذُ كَانَ الصُّغْرُ
أَنَاشِيدَ كَانَتْ عَلَى شَفَتَيْكَ وَعَلَّمْتَ أَوْضَاعَهَا فِي الْكِبَرِ
حَلَمْتَ بِأَنْعَامِهَا فِي الصُّبَى

رشيد نخلة

مَحَطُّ الْقَوَافِي وَالرَّوَاءِ الْمُعَطَّرُ
وَأَثَبْتُ مَا فِيهِ الْجَمَالَ الْمُبَكَّرُ
فَرَبُّكَ فِي لُبْنَانَ يَهْوَى وَيَنْظُرُ
جَرَى كَوُثْرَ فِيهِ وَأَزْهَرَ عَبَقْرُ
عَلَى شَفْتَيْهِ قَامَ لِلْحَبِّ مِنْبَرُ
وَلُبْنَانَ أَعْنَى الْأَرْضِ نُورًا وَأَطْهَرُ
عَرَائِسُهُ دُونَ الْقَوَامِيسِ حُضْرُ
وَيَمْرُحُ فِي مَرَعَى الْجَمَالِ يُبَدِّرُ
أَتَانِي هُدَى مِنْهُ فَقَمْتُ أَبْشُرُ
وَمَنْ مَسَّ فِي أَعْرَاقِهِ كَيْفَ يَشْعُرُ
كَبِرْنَا بِهِ، وَالْفَضْلُ بِالْفَضْلِ يَكْبُرُ
نُكْرَمُ أَوْ نُحْزَى بِهِمْ حِينَ نَبْدُرُ
فَمِنْ «لَعْوَةٍ» لِلشَّعْرِ هُدْبٌ عُنْصُرُ
فَمَا ضَرَّهُ؟! إِنَّ الْكَرِيمَ مُحَرَّرُ
فَمَنْطِقُهُ الْفَوْرِيُّ كَالشَّمْسِ نَيْرُ
فَالِهَامُهُ كَالْحَبِّ رِيَانٌ أَخْضَرُ
وَعَنْ بُلْغَاءِ الْعَصْرِ قَامَ يُكْفِّرُ؟!
عَبِيرِي، فَمِسْكَ مَا نَشَقْتُ وَعَنْبَرُ

عَذِيرِكَ مِنْ مُسْتَلْهِمِينَ تَصَدَّرُوا
وَلُبْنَانَ فَجُرَّ اللَّهُ، أَصَدَقُ مَا بِهِ
وَمَنْ عَيْنِهِ نُورٌ وَمِنْ قَلْبِهِ هَوَى
وَلُبْنَانَ مِنْ عَدْنٍ جَبِينٌ وَمُهْجَةٌ
وَأَعْدَبُ مِنْ غَنَى بِلُبْنَانَ بُلْبُلُ
يُنْتَرُ مِنْ حُلُقُومِهِ ذَهَبُ الرَّبِّي
وَأَكْرَمُ مَنْ غَنَى بِلُبْنَانَ شَاعِرُ
يَضُنُّ، عَلَى جَرَعَى الْكَرَامَةِ، عَزَّةُ
رَأَيْتِي حَوَارِي الْقَرِيضِ فَقَالَ لِي:
أَعْلَمُ عَشْوَاءَ الْهَوَى كَيْفَ تَهْتَدِي
وَقَالَ لِي الْأَجْدَادُ مِنْ مَسْقِطِ الْعُلَى
وَأَوْلَادُنَا مُسْتَوْدَعٌ لِبُدُورِنَا
وَقَالَتْ لِي الْفُصْحَى غَبَطْتُ لِسَانَهُ
وَإِنْ ضَاقَ هَذَا الشَّعْرُ وَهُوَ مُحَرَّرُ
نَمَا فِي مَجَارِي الشَّمْسِ عَذْبُ بَيَانِهِ
وَمَرَّ بِهِ لُبْنَانَ أَخْضَرَ كَالْهَوَى
أَمِنْ سَادَجِ الْأَرْيَافِ أَقْبَلَ وَادِعُ
وَقَالَ لِي «الْبَارُوكُ»: «مَرَّ بِشَعْرِهِ

زُلَّالِي مَعْقُودٌ بِسُكَّرِ لَفْظِهِ
أَرَانِي فِيهِ، فَالْنَّسِيمُ نَقِيَّةٌ
وَ«لِلشَّوْفِ» أَرْوَاحُ تَرْفُ كَرِيمَةٍ
وَفِي كُلِّ مَرْعَى ضَمَّهُ «الشَّوْفُ» وَائِلٌ
وَفِي كُلِّ مَفْتُولٍ إِبَاءٌ مُخَنَّدٌ
وَقَالَ أَبُو سَعْدَى^١: حَيِّتْ بِشَعْرِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْ لُبْنَانٍ يَطْرَى جَبِينُهُ
وَنَحْنُ مَوَالِيدُ الْجَمَالِ وَجُنْدُهُ
وَإِنْ عَرَيْتَ مِنْ مَزْمَرِ الْأَمْسِ دَارَتِي
وَطَيْبِي مَعْجُونٌ عَلَيْهِ مُحَمَّرٌ
مَعَابِرُهُ، وَالْبَطْمُ نَدْيَانُ مُزْهَرٌ
عَلَى وَحْيِهِ، وَالْوَحْيُ لِلرُّوحِ مَعْبَرٌ
وَفِي كُلِّ كُوخٍ ضَمَّهُ «الشَّوْفُ» جَعْفَرٌ
وَفِي كُلِّ مَكْحُولٍ عَفَافٌ مُسَوَّرٌ
كَأَنِّي فِيهِ مَا أزالُ أَزْمَجِرُ
وَمَا كَانَ إِلَّا الْحَقُّ فِينَا يُؤَمَّرُ
فَمَا عِنْدَنَا إِلَّا الْجَمَالُ مُسَيَّطَرٌ
فَفِي الْخُلُقِ الْمُورُوثِ عَاجٌ وَمَزْمَرٌ

* * *

تَعَبَتْ وَلَمْ تَقْنَطْ وَمِثْلُكَ يُرْتَجَى
فَمِنْ جَبَلٍ وَعَرٍ إِلَى صَخْرِ شَاطِيٍّ
وَشَعْرُكَ فِي الدُّنْيَا الْحَمَامُ الْمُطَيَّرُ
وَمَنْ حَمَلَ الْأَمَالَ لَا يَتَكَسَّرُ

^١ الأمير بشير الشهابي الكبير.

الثورة العظمى

مَا أضعَفَ السَّيْفَ حِينَ الخُلُقِ يُمْتَشَقُّ!
كِلَاهُمَا فِي لَهيبِ الحَقِّ يَحْتَرِقُ
حَذَارٍ فِي ظُلْمِهِ أَنْ يَبْرُقَ الحَدَقُ
فَاصْبِرْ لَهَا فَهَنَّاكَ الحَبْرُ وَالْوَرَقُ
وَلَمْ يَكُنْ ظَالِمٌ لَوْ يُسْبِرُ العُمُقُ
عَلَى ثَرَاكَ شَبَابًا ذَلِكِ العِرْقُ
وَلَمْ يُخَيِّمِ عَلَى فِتْيَانِهَا نَزَقُ
فِي السَّلْمِ بَاغٌ وَلَا فِي الحَرْبِ مُرْتَدِقُ
فَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ فِي عِرْقِهِ رَنُقُ
تُدِيهَا الحُمْرُ فِي عَيْنَيْهِ تَنْدَلِقُ
وَلَمْ تُشَقِّ لِإِنْسٍ مِثْلَهُ طُرُقُ
وَكُلُّ وَثْبَةٍ جُنْدِيٍّ مَشَتْ فَرَقُ
أَسْكِرَةٌ هِيَ فِي النِّيرَانِ أَمْ شَبِقُ؟!
فَلَوْ أَقَامَ بِأَحْلَاقِ الرَّدَى مَرَقُوا
وَكُلُّ أَمْنِيَةٍ مِنْهُ بَدَا شَفِقُ
فَانْفُضْ تُرَابَكَ، يَكْفِي ذَلِكِ العِرْقُ
وَالْمُسْتَرْدُونَ بَاقٍ مِنْهُمْ رَمَقُ
هَذِي الرِّوَايَعُ مِنْ إِيْمَانِهَا عَبَقُ
الْأَقْوِيَاءُ مَضَوْا وَالْمُؤْمِنُونَ بَقُوا

هَذِي الرِّوَايَعُ مِنْ ذَاكَ اللَّطَى خُلِقُ
مَا فِي الحَدِيدِ وَلَا فِي النَّارِ مُنْتَصِرُ
أَللَّهُ أَكْبَرُ! كَمْ فِي الفِكْرِ مِنْ شُعَلِ
إِذَا الضَّمِيرُ وَتَى فِي رَدْعِ مُنْكَرَةِ
لَوْ يُسْتَشَارُ حَكِيمٌ لَمْ يَكُنْ زَعَلُ
مَعَابِرَ الفِكْرَةِ الحَمْرَاءُ كَيْفَ نَمَّا
سَبْعُ وَعِشْرُونَ لَمْ يُفْجَعْ بِهَا أَدَبُ
مَشَى الشَّبَابُ بِهَا طَوَعَ الضَّمِيرُ فَمَا
هَذَا الشَّبَابُ رِضَاعُ الحَقِّ فِي دِمِهِ
لَمْ تَبْرَحِ الثُّورَةُ العُظْمَى تُرَاوِدُهُ
مَضَى إِلَى المَجْدِ لَمْ يُشْهَدْ لَهُ مِثْلُ
فِي كُلِّ صَرْخَةٍ عَذْرَاءٍ جَرَى أَمَلُ
بُطُولَةٌ حَارَتِ الدُّنْيَا بِرِوَعَتِهَا
هُمُ الصَّعَالِيكُ، أَقْصَى المُسْتَحِيلِ لَهُمْ
فِي كُلِّ جَبْهَةٍ صُغْلُوكِ بَدَا مَلِكُ
لِيَنِينِ، أَحْلَامُكَ العِرَاءُ قَدْ صَدَقَتْ
لَمْ يَبَقِ مِنْ شَرْعَةِ الدُّنْيَا سِوَى رَمَقِ
بُورِكْتِ يَا نَهْضَةً لِلشُّعْبِ ثَائِرَةٌ
إِنَّ البَقَاءَ عَلَى الإِيْمَانِ مُرْتَكِزُ

عودة الطيار

إلى روح فوزي الملعوف

مَاتَ فِيهِ فَتَى الزَّمَنِ
وَاحْمِلِيهِ إِلَى الْوَطَنِ
فَغَزَا سِرَّهُ بِأَسْرَارِ شِعْرِهِ
فَتَجْرِي فِيهَا الْحَيَاةُ بِسِحْرِهِ
لَتَمَنَّى لَوْ كَانَ أَدْنَا لِعَصْرِهِ
لَتَمَنَّتْ لَوْ خَبَّاتْ بَعْضَ عَطْرِهِ
ح لَضَلَّ الْخَيَالَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
لَتَمَنَّيْنِ لَوْ دَرَجْنَ بِوَكْرِهِ
وَح فِي عَالَمِ النُّجُومِ بِأَسْرِهِ
يِرَ غَارَتْ مِنْهُ فَهَمَّتْ بِكَسْرِهِ!
فِي الْخُلُودِ - عَلَى ذَرَاكَ
بِنَشِيدِي - لِكَيْ أَرَكَ
لَامَ نَعَشُ مِنَ الْجُدُوعِ حَجَابُهُ
عَالَمٌ ضَاقَ بِالشُّمُوسِ رَحَابُهُ
ر وَمِنْ جَنَّةِ الرُّؤْيَى أَخْشَابُهُ
ي وَنُورِ الْمُخَيَّلَاتِ سَحَابُهُ

بَلَدٌ فِي مَجَاهِلِ الْأَبْعَادِ
فَامْتَطِي الرِّيحَ يَا طُيُورَ بِلَادِي
عَشِقُ الْمَجْدَ مِنْذُ سُحْرَةِ عُمْرِهِ
شَاعِرٌ يَسْحَرُ الدُّمَى بِأَغَانِيهِ
لَوْ أَصَاخَ الْمَاضِي الْبَعِيدُ إِلَيْهِ
وَلَوْ أَنَّ الزُّهُورَ شَمَّتْ شَدَاهُ
وَلَوْ أَنَّ الْخَيَالَ جَارَاهُ فِي الرِّيبِ
وَلَوْ أَنَّ النُّسُورَ خُبِرْنَ عَنْهُ
طَارَ فِي عَالَمِ النُّجُومِ يُدَبُّ الرُّ
يَا لَهُ فِي الْعُلْيَا جَنَاحًا كَأَنَّ الطَّ
أَهْجَرَ الْأَرْضَ وَابْنَ جُدْرَانَ عَشَّكَ
طَرَّ وَدَعْنِي أَحِلَّ أَحْشَابَ نَعَشِكَ
لَيْسَ لِلشَّاعِرِ الْمُسَجَّى عَلَى الْأَحَدِ
إِنَّ نَعَشًا تَعَلَّغَ الْخُلْدُ فِيهِ
الْمَسَامِيرُ فِيهِ مِنْ مَنْجَمِ النُّو
عَالَمٌ أَفْقَهُ الْخَيَالَ الْإِلَهَ

سَابُ وَالنَّدُّ وَالْبُخُورُ تُرَابُهُ
 بَّ وَخَمْرٌ مِنَ السَّلَامِ شَرَابُهُ
 فَتَلَّاشَتْ أَتْعَابُهُ وَعَدَابُهُ
 لِمُلُوكِ الْخَيَالِ وَالْحُبِّ بَابُهُ
 وَارْفَعِيهِ - عَنِ الْوُجُودِ
 إِنَّ فِيهِ - مَعْنَى الْخُلُودِ
 وَح قَامَتْ عَلَى قُلُوبِ عِمَادِهِ
 رِ أَحَاطَتْ بِعَرْشِهِ أَجْنَادُهُ
 عَاجِ يَقْتَاتُ بِالشُّعُورِ جَمَادُهُ
 كُلُّ نَجْمٍ مِنْهَا يَسِيلُ فَوَادُهُ
 يِ حَمَامٍ، وَاللَّيْلُ ذَابَ سَوَادُهُ
 تَتَنَزَّى مِنَ الرُّؤْيِ قَوَادُهُ
 لَا يُرَى غُلُّهُ وَلَا جَلَادُهُ
 غَى إِلَيْهِ الْوَرَى لَزَالَ حِدَادُهُ
 تَتَشَرَّدُ - رُؤَى دِمَهُ
 وَتَجَمَّدُ - عَلَى فَمِهِ
 نَيْهِ كُحْلٌ تَحَارُ فِي الْوَانِهِ
 عِر تَحْنِيطُ حُبِّهِ وَحَنَانِهِ
 مِلُّ إِلَّا الْعَفَافَ مِنْ لُبْنَانِهِ
 وَجَفَافِ الدُّمُوعِ فِي أَجْفَانِهِ
 تُ صَبَاحٍ كَأَنَّهَا مِنْ بَيَانِهِ
 بِّ لِتُضْغِي سَكْرَى إِلَى الْآحَانِهِ
 لَوْلِيَّيَ الْإِطَارِ مِنْ تَيْجَانِهِ
 هِ وَعَطَّرُ الْخُلُودِ مِنْ أَدْهَانِهِ
 صَوْتُ مَاتَمٌ - هَالِ السَّمَاءِ
 أَيُّ سَلَمٌ - يَرْقَى الْفَنَاءِ!
 وَأَسْمَعِي أَيُّ ضَجَّةٍ مَشْتُومَةٍ!

الشُّعُورُ النَّقِيُّ كَوَثْرُهُ الْمُنْدُ
 عَالَمٌ قُوْتُهُ ثِمَارٌ مِنَ الْحُ
 نَسَمَاتُ الْعُفْرَانِ هَبَّتْ عَلَيْهِ
 عَالَمُ الْخُلْدِ لَيْسَ يُفْتَحُ إِلَّا
 يَا عَرُوسَ الْخَيَالِ قُوْدِي خَيَالِي
 وَدَعِينِي أَسْمَعُ نَشِيدَ الْجَمَالِ
 فَتِحِ النَّعْشَ لِي فَأَبْصُرْتُ قَصْرَ الرُّ
 وَرَأَيْتُ الْفَجْرَ الْمُدْهَبَ بِالنُّو
 وَتَرَاءَى لِي الْأَثِيرُ بِلُؤْنِ الْوَالِدِ
 وَنُجُومٌ تَمُوجُ فِيهَا حَيَاةٌ
 وَالْأَعَاصِيرُ وَالصَّوَاعِقُ فِي زِي
 وَرَأَيْتُ الْخَيَالَ فِي تَوْبِ مَلِكٍ
 وَرَأَيْتُ الْفِكْرَ الصَّرِيحَ إِلَيْهَا
 كَانَ عِيدٌ فِي ذَلِكَ النَّعْشِ لَوْ أَصَدُّ
 وَإِذَا بِي أَرَى مَلَكَ عَلَيْهِ
 فَاضَ ذَوْبُ الشُّعُورِ مِنْ رَيْثِيهِ
 فِي يَدَيْهِ رَبَابَةٌ، وَعَلَى جَفِّ
 إِنَّ كُحْلًا تَرَاهُ مُقْلَبَةً الشَّ
 هُوَ «فَوْزِي» أَتَى إِلَى الْخُلْدِ لَا يَحُدُّ
 وَسَوَى آلَةِ الشَّقَا فِي يَدَيْهِ
 فَأَحَاطَتْ بِهِ مِنَ النُّورِ هَالًا
 وَأَتَتْهُ النُّجُومُ فِي زَوْرَقِ الْحُ
 وَإِذَا أَبْلُونُ يَأْخُذُ تَاجًا
 وَيَذُوبُ اللَّبَانُ يَمْسَحُ صُدْغَيْهِ
 وَتَمَشَّى فِي عَالَمِ الشُّعْرَاءِ
 حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ رِيحُ الْفَنَاءِ
 قَالَ لِلزُّهْرِ أَبْلُونُ: أَطْلِي

أَيُّ صَوْتٍ أَتَى يَدْرُ عَلَيْنَا
 مَا سَمِعْنَا مِنْ قَبْلُ نَدْبًا كَهَذَا
 فَاطَلَتْ كَوَاكِبُ الْخُلْدِ حَيْرَى
 «... يَزْعُمُونَ السَّمَاءَ قَدْ ظَلَمْتَهُمْ
 ثُمَّ سَادَتْ سَكِينَةٌ عَقَبَتْهَا
 وَرَأَيْتِ الْخُلُودَ يُضْغِي وَشَاهَدُ
 تَتَلَقَى طَوَالَ أَرْوَاقَةِ الْأَوْ
 وَدَوَى صَوْتُ أَبْلُونٍ يَقُولُ:
 أَغْلِقُوا الْقَصْرَ فَالْخُلُودُ الْجَمِيلُ
 أَيُّ شَأْنٍ لِلنَّاسِ بِالشَّاعِرِ الْمُلُ
 «هُوَ مِنْ عَالَمِ الْخُلُودِ» فِي عَيْنِ
 أَطْلَقَتْهُ الْأَرْضُ الَّتِي قَيَّدَتْهُ
 نَحْنُ أَوْلَى بِهِ فَهَمْ ظَلَمُوهُ
 يَوْمَ رَاحُوا يُكَدِّرُونَ نَدَى الْوَحَى
 أَرْعَجُوهُ عَهْدَ الشَّقَاءِ، وَلَمَّا
 وَإِذَا بِالْخُلُودِ يُغْلَقُ فِي وَجْ
 وَيَقْلِبِي مِمَّا سَمِعْتُ نَشِيدُ

فِي حِمَانَا كِبْرِيَّتَهُ وَسُومَهُ؟!
 وَرِيَا حَا كَهَذِهِ مَحْمُومَهُ!
 ثُمَّ قَالَتْ بِمُهْجَةٍ مَكْلُومَهُ:
 فَغَزَتْ شَعْبَهُمْ وَأَزْدَتْ نَدِيمَهُ!
 خَلَجَاتٌ مِنَ الْحُصُونِ الْعَظِيمَةِ
 تَعْدَارَاهُ خُشْعًا وَنُجُومَهُ
 لِمَبِّ الْأَفَاطِ أَبْلُونِ الْحَكِيمَةِ
 لِيَمَجِّدُ - فَوْزِي الْحَبِيبِ
 مَا تَعَوَّدُ - هَذَا النَّعِيبِ
 هَمَّ لَا شَأْنَ لِلتَّرَابِ بِنَفْسِهِ
 يَهْ نُورٌ مِنَ الْخُلُودِ وَقُدْسِهِ
 فَانْتَنَى عَائِدًا لِمَسْقَطِ رَأْسِهِ
 يَوْمَ دَسُوا سَمًّا بِخَمْرَةٍ كَأْسِهِ
 يَ عَلِيهِ وَيَشْمَتُونَ بِبُؤْسِهِ
 زُفِّ لِلْخُلْدِ أَرْعَجُوهُ بِعُرْسِهِ
 هِيَ فَأَهْوِي إِلَى الْفَنَاءِ وَيَأْسِهِ
 لَمْ أزلُ مُضْغِيًّا لِرِقَّةِ هَمْسِهِ!